

تفسير أبي السعود

. - 1410

والفاء في قوله تعالى فارتقب لترتيب الارتقاب أو الأمر به على ما قبلها فإن كونهم في شك مما يوجب ذلك حتما أي فانتظر لهم يوم تأتي السماء ابدخان مبين أي يوم شدة ومجاعة فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان إما لضعف بصره أو لأن في عام القحط يظلم الهواء لقلة الأمطار وكثرة الغبار أو لأن العرب تسمى الشر الغالب دخانا وذلك أن قريشا لما استعصت رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال اللهم اشد وطأ تك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأخذتهم سنة حتى أكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل يسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى يغشى الناس أي يحيط بهم هذا عذاب أليم أي قائلين ذلك فمشى إليه E أبو سفيان ونفر معه وناشدوه ﷺ تعالى والرحم وواعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا وذلك قوله تعالى ربنا أكشف عنا العذاب إنا مؤمنون وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وبه أخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو داخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة فيدخل في اسمع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيد ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أو قد فيه ليس خصاص وعن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر قال حذيفة يا رسول الله ﷺ وما الدخان فتلا الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخره وأذنيه ودبره والأول هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعاً فإن قوله تعالى إنى لهم الذكرى الخ رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالإيمان المنبئ عن التذكر والاتعاط بما اعتراه من الداهية أي كيف يتذكرون أو من أين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين أي والحال أنهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاط ما هو أعظم منه في إيجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشأن وبين لهم مناهج الحق بإظهار آيات ظاهره ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال ثم تولوا عنه عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه ما شاهدوا من العاطم الموجبة للإقبال عليه ولم يقتنعوا بالتولى